

عدم السكينة والضيق في العبادة وفي الحضارة

تمهيد لمؤتمر المدرسة اللاكانيّة الجديدة 2023

دانييل روي

يأتي العنوان الذي اقترحه للمؤتمر القادم، والذي سيقام في باريس في شهر أيار 2023، مباشرة من فقرة في نص لاكان المعنون بـ "الثالثة"، وهو محاضراته التي قدمها في روما في الأول من نوفمبر 1974.

فيما يلي الفقرة: "إلا أن تجربتنا بمجملها تتأسس على عدم السكينة [malaise] التي يشير إليها فرويد في مكان ما كـ "قلق في الحضارة"¹. تحدد الفقرة التالية الرابط السببي المباشر بين اللاسكينة وفقاً لمفهوم فرويد ومجمل التجربة التحليلية.

ما يثير الدهشة هو أن الجسد يساهم في عدم السكينة [malaise] وعلى منوال ما نعلمه جيداً من كيفية إحيائها لدى الحيوانات، أو أن جاز لي القول، عندما نحيمهم بمعوية خوفنا. ولا يعني ذلك ببساطة التساؤل عن أصل خوفنا، أو ما الذي يثير خوفنا؟ نحن نخاف من جسدنا. ذلك ما تبرزه بوضوح الظاهرة المثيرة للفضول التي أمضيت سنة كاملة في العمل عليها في سميناري، واسميته "الحصر"² Anxiety. يتموقع الحصر أو الضيق تحديداً في جسدنا في مكان آخر غير الخوف. إنه الشعور الذي ينشأ من تلك الريبة التي تغمرنا عندما نُختزل إلى أجسادنا³.

يدفع الجسد قسطه من الضيق

وفقاً لهذا الاقتباس الذي يرشدني في معرض تناولي لهذا الموضوع، فإن الضيق عبارة عن أثر لإسهام جسدنا لعدم السكينة الحضاري، هذا الجسد الذي يغدو "Support/Surface"⁴ "دعامة / سطحاً" لما هو "عرضي" في حضارتنا، وفي ثقافتنا. إن هذه الإزاحة التي أجراها لاكان في نصه "تلفزيون"⁵ Television، غدت مألوفة لنا وفي الوقت ذاته ليس فيها أي شيء أوتوماتيكي، وهي تشير بالأحرى إلى تجاوز حدّ، وهذا ما فعله فرويد في مقالته: قلق في الحضارة⁶.

ما أقترحه، أن هذا التجاوز يتحقّق من خلال مسار الضيق. فمن خلال الضيق حصراً، يمكن للذات ومن خلال فرادتها، قراءة عدم سكينتها الحضارية في مجموعتها البشرية، والأسرية وفي مكان العمل – على أنها عرض. وعلى نحو معاكس، فإن لإحساس عدم السكينة صدى في الجسد، لما يشكل عرضاً في الحضارة، وهو ما يُشهد عليه على نحو خاص من قبل الأطفال والمراهقين في أيامنا، وبكثير من الأحيان، لدرجة الدمار ravage، حيث لا يُقام لضيقهم اعتبار.

¹ Lacan J., "The Third", trans. Philip Dravers, The Lacanian Review 7 (2019), p. 104. [translation modified]

اعتمدنا استخدام العنوان الذي تُرجم وفقه النص الفرويدي للعربية إلا أن المصطلح الذي اعتمده فرويد في لغة الأصل هو أقرب من وجهة نظرنا لغويا وعبادياً إلى عدم السكينة منه إلى القلق، إذ ينقل المصطلح الأخير مركز الثقل من الأثر العاطفي المقترن والمقصود بالمصطلح إلى الفعالية الذهنية الوسواسية. (المترجم للعربية)

² الحصر هي الترجمة التي اعتمدت وفقاً لمداركنا لكلمة anxiety الإنجليزية و Angst الألمانية إلا أننا اثنا استخدام كلمة الضيق في النص كبديل لها أحياناً وفقاً للسياق ومقتضيات الترجمة وفيما إن الكلمتين تغبران عن شكلين لتجليات نفس الظاهرة.

³ Ibid. [translation modified].

⁴ Support/Surface is the name of an artistic movement, which was one of the founding groups of contemporary French art, in both painting and sculpture (Wikipedia).

⁵ Lacan J., Television, trans. Hollier, Krauss & Michelson (London & New York: Norton, 1990), p. 28.

⁶ Freud S., "Civilisation and Its Discontents" SE XXI, pp. 57-145.

اذ أن مسار الضيق هو أيضاً مسار الرغبة، و "ذلك ما يجعل من الضيق، ضمن انفعالات الذات، ما ليس يضلّل"، كما يصيغ ذلك لكان في سميناره الذي توقّف: "أسماء الأب"، عندما أراد لنا أن ندرك "البعد الراديكالي (...) الذي تتموقع فيه وظيفة دلالة الضيق أو الحصر"⁷. وفي الحقيقة، لا تتأثر الذات في الحصر "برغبة الآخر الكبير" فقط، إنما تتأثر أيضاً "من التحوّل المباشر للبيبدو" عند النقطة التي يفشل فيها الدال في تدوينه (الحصر – المترجم). لقد وجد لكان بالفعل هذا الربط الذي يقيمه أو يحققه الحصر ما بين الجسد والآخر الكبير والدافع عند فرويد، في "ملحق" كتابه "الكف، العرض والحصر"⁸، هناك، حيث يعيد فرويد فحص أطروحته الأولية، والتي تموقع الدافع الجنسي على أنه السبب الصدمي لل-Realangst، وينسب لها مفهوم "الحصر الواقعي" والتي ارتد عنها مترجمو فرويد الأوائل. سيصيغ لكان هذه الحبكة كرباط (ثلاثي) واقعي-رمزي-متخيّل، بدءاً من اللحظة التي يرى معها أن الضيق/الحصر هو دلالة لهذا الحضور لواقعيّ التلدن.

يظهر الحصر في تلك اللحظة وفي ذلك المكان أينما يجد جسداً نفسه مضطراً لإنتاج نفسه في الواقعيّ كجسد منظّم، محافظاً على نفسه في شكله الثابت، وفقاً للعمليات التي حددهما لكان عندما بدأ الحديث حول اللاسكينة والضيق في نصه "The Third"⁹. يمكننا التفكير هنا بما يُدعى الرهاب الاجتماعي أو رهاب المدرسة عند صغار السن، عندما يغدو عصياً على الذات عبور عتبة البيت أو المدرسة، كي لا تعرّض نفسها لمخاطر الدخول إلى نوبة هلع. هذه بالتحديد لحظات، يتجلّى فيها جسد الكينونة المتكلمة كمغاير heterogeneous تماماً لمحيطه، وبيئته، وإدراجه في مجموعته الاجتماعية. يمكننا التطرق هنا أيضاً للحقائق الاكلينيكية التي يصبح معها الجسد المتكلم مغايراً على نحو مكثّف لموقعه كمتكلم، وإلى الدرجة التي يفقد فيها موقعه ووجوده، إذ يواجه غزو النفاية، كما في متلازمة ديوجين، أو مغايراً لموقعه كسائق إذ نتحدث عن دخوله لمجرى حركة سير في طريق سريع أو عند اجتيازه لجسر.

عالم/قذارة [Monde/im-monde]

ان ما يميّز لحظات وأماكن الضيق هذه، هو حصراً في أنها تلك التي تعجز فيها الكينونة المتكلمة "المختزلة إلى جسدها"، من أن تدوّن نفسها في العالم، كما هو متخيّل من قبلنا كـ "عالم شبيهه بالنسبة لجميع الحيوانات". يتوقف فجأة ذلك الشرط الذي يلزم الكينونة المتكلمة من إنتاج نفسها كجسد منظّم، وضرورتها للحفاظ على نفسها في نفس الشكل، من أن يُعتبر قادراً بالنسبة لها في هذا العالم، إذ ان هذا العالم، "ليس عالماً im-monde ابداً، وانما im-monde، قذارة"¹⁰.

دعونا نتوقف ونتأمل الجناس التام الذي وظّفه لكان ليتردد صدها في هذا السياق. إنه جناس تام تسلل للغة الفرنسية من بين كلمات تطورت في حقليّ معاني جد مختلفين كما يبدو، على أساس أصل مشترك، وهو المصطلح اللاتيني mundus.

كلمة "monde" تأتي لتعرّف المجلّم، الشمولية، وهي تحوي كل ما هو موجود، وكل من هو موجود، مجملّ يمكننا انطلاقاً منه إجراء بعض التمييزات اللغوية، التي تتراوح ما بين "الكل أو الجميع" – أو كما نقول بالفرنسية "tout le monde" – و"كلّ واحد يعيش في عالمه الخاص" – "chacun vit dans son monde". وعليه، فإن مصطلح "monde" أو عالم، يؤدي وظيفة مُشغّلٍ دالّ بإمكانه خلق "عالم" بقدر ما نريد، وهذا ما يكسبه قوته التعميمية.

إن كلمة "im-monde"، قذارة، هي الكلمة التي تخلق الجناس التام، من خلال تعارضها مع monde، وتسيبها في بروز المعنى المزدوج.

⁷ Lacan J., "Introduction to the Names-of-the-Father", The Names-of-the-Father, trans. Bruce Fink (Cambridge: Polity, 2015) p. 57-58.

⁸ Freud S., "Inhibitions, Symptoms and Anxiety", SE XX, p. 162.

⁹ Lacan, J. "The Third", op. cit., "In this real, organized bodies are produced, which retain their form", p. 103.

¹⁰ *Ibid.*, p. 104 [translation modified].

فهي تحدّد من جانب معين، ما هو ليس العالم، وفقا لما نتخيل أنه مشترك لبني البشر والحيوانات والنباتات – كل الكائنات الحية – وبالتالي عالمي، إذ أن "وحدة جسدنا تجربتنا على التفكير فيه ككون". بناء عليه نكون جميعنا ككائنات حية متشابهين وفي الوقت نفسه، كلّ واحد منا مختلف؛ يبقى علينا فقط، أن نشكل مجتمعاً مع الكائنات الحية التي من حولنا – يوتوبيا عذبة، إلا أنها انعزالية على نحو عنيف مبدئياً!

من جانب آخر، تكشف (كلمة im-monde – المترجم) الموضوع المرفوض، القذارة المطلقة par excellence، ذلك الذي يشكل أساساً للضييق وعدم السكنينة، والذي سماه لاكان الموضوع (أ) الصغيرة (a) object انطلاقاً من التجربة التحليلية. إن هذا الموضوع هو بالتحديد ما يتعارض مع العالم ككون، إذ انه يتجلى على الدوام كـ "جزء مقطوع أو مفصول" pièce détachée، وفقاً للمصطلح الذي اقترحه ميلر في سميناره¹¹، والذي لن يكون له أي مكان في "العالم الانساني المشترك" - العزيب على قلب حنة أرندت Hannah Arendt - غير ذلك الذي تحتله الرغبة، "الطائر السماوي"، في الوقت ذاته مؤشّر النقص والدعامة لوظيفة فائض التلذذ.

الموضوع وفائض التلذذ

إن هذا الموضوع المرفوض هو موضوع نقيس على نحو مطلق عندما يتم عزله في التحليل، فعندما ينفصل (هذا الموضوع) عن الدافع في حالة الضيق أو الحصر، يتحول حينها ليكون موضوع سببٍ للرغبة. خلال هذا السقوط لموضوع الدافع، يسطع كالنيزك، شعاعٌ عابر من فائض التلذذ، وهو الفضلة الواقعية الوحيدة التي تبقى من العملية. إن هذا الأثر بالذات، الأثر الذي لا يُنسى، هو الذي بإمكانه أن يخلق "قدرًا" [destin] للذات، إذا ما عبّر عن نفسه كرغبة في أقوال المتحلّل. الرغبات هنا هي التي تشكل "مصير الدوافع"، le sort des pulsions،¹² كما يقول لاكان في أحد سميناراته الأخيرة، في الثامن عشر من مارس 1980. تتيح لنا اللغة الفرنسية إذا القول بأن الرغبات تُعطي قيمة للدوافع، فهي "تبددها" وتبطل فتيلها كمصدر لعنة، وكقدر بائس شكّت منه الذات حتى ذلك الحين، وبالتالي فإنها تجفّف جشع الأنا العليا الشرس.

إلا أن "مصيراً" جديداً أضيف ليرافق المصائر والتبدلات الفرويدية الأخرى للدافع، مع قدوم أغراضٍ أو مواضيعٍ لـ "فائض تلذذ زائف"¹³ إلى عالمنا: الأجهزة. لا نعرف إن كانت ستسدنا هذه الأجهزة خيراً أم سوءاً، لكن يمكننا القول إنها أصبحت من الآن فصاعداً، جزءاً لا يتجزأ من عدم السكنينة في حضارتنا.

لقد أعطتنا تجربتنا مع التلفزيون وأجهزة الكمبيوتر الموصولة بشبكة الويب العالمية، وألعاب الفيديو العصرية والهواتف المحمولة، كل الأسباب للاعتقاد بأن هذه الأغراض هي المنتصرة دوماً وأنها قد أحكمت سيطرتها. فهي التي تصنع العالم اليوم، وهي من يعمّم عالمنا، وتحوله إلى كون، وتعمله. لكن هل يجب أن ننظر إلى الأمر بهذه الطريقة؟ لا يعتقد لاكان ذلك. "هل حقاً ستكون للأجهزة اليد العليا؟ وهل سنصل لأن يتم تحريكنا فعلاً بواسطة الأجهزة؟ يجب أن أقول إن ذلك يبدو لي غير مرجح. في حقيقة الأمر لن ننجح في الوصول إلى نقطة لا تكون فيها الأجهزة مجرد أغراض"¹⁴. كما وأضاف في الشهر نفسه: "لدى الأجهزة خاصية حمل علامة الكائن الذي صنعها - لا يوجد شيء يذهب إلى النفايات أسرع من الأجهزة المذكورة (...). ينتهي بها الأمر في مكب نفايات حيث يتم تفكيكها. هناك تشابه تام ما بين ذلك ومصير الإنسان"¹⁵.

¹¹ Miller J.-A., L'orientation lacanienne III, 7, « Pièces détachées » (2004-2005), parts of which have been translated into English and published in the Psychoanalytical Notebooks 27 (2013), pp. 87-117 and in Lacanian Ink 28 (2006), pp. 26-41.

¹² Lacan J., « Dissolution », *Aux confins du Séminaire* (texte établi par J.-A. Miller), Paris, Navarin éditeur, p. 65.

¹³ Lacan J., *The Other Side of Psychoanalysis: The Seminar of Jacques Lacan, Book XVII*, trans. Russel Grigg (London and New York: 2007), p. 81..

¹⁴ Lacan J., "The Third", *op. cit.*, p. 108.

¹⁵ Lacan J., *Le phénomène lacanien* (Nov. 1974), text established by J.-A. Miller, Section clinique de Nice, 2011, p. 14.

لا يمكننا الاعتقاد، أو حمل أولاد هذا القرن على التفكير، بأن هذه الأجهزة هي مصير عالمنا وحياتنا، بينما هي كجميع المواضيع/الأغراض المرتبطة بأجسادنا، جزءٌ من im-monde، القذارة.

على هذا النحو، تؤدي هذه الأجهزة إلى عدم السكينة في حضارتنا وهي أعراض في حضارتنا، من خلال نزوعها لإنتاج فائض تلدّد زائف.

إن استخدام لاكان لجناس monde/immonde [عالم/قذارة] في خطابه الثالث في روما، أبرز كومبزي، تلدّدًا فائضًا من اللغة، من اللغلة (lalangue). فعل الكلام هذا، يجعل الموضوع المطروح على بساط البحث في حالة عدم السكينة، حاضرًا كما هو. بناءً عليه، يوفر لنا ذلك إشارة دقيقة لما يشكل عدم سكينة في حضارتنا: ففي كل مرة تريد أن تصنع عالمًا، monde للكائنات الناطقة أو للكينونة المتكلمة، تكون immonde القذارة موجودة. إن عدم السكينة والضيق هي الدلالات لتدوين أجسادنا المتكلمة في هذه القذارة، التي تشكل ثنية [qui en constitue la doubleure] وتشهد على "فشل" هذا الجسد في خلق واحد (One).

الموضوع مركز كل انتباهنا

إن هذا الموضوع الذي في لبّ اللاسكينة وفي موضع سبب الضيق، سيكون بالتالي الموضوع الذي سنوليه جلّ انتباهنا. لدينا نصان من تأليف جاك-ألن ميلير يشكّلان لنا بوصلة: أحدهما، "تخييل"¹⁶، والذي، في عصرنا "فائق الحداثة"، يرسم عواقب عبارة لاكان من "Radiophonie"، التي تشير إلى "صعود الموضوع الذي سمّيته (أ) الصغيرة إلى الذروة الاجتماعية"¹⁷؛ أما النص الآخر، وعنوانه "الخلاص عبر النفايات"¹⁸، فيستحضر لنا على الفور الوجه الآخر للموضوع، والذي تم التأكيد عليه بالفعل بعبارة لاكان: "الحضارة هي المجاري"¹⁹، ويتعلق بمحاضرة ألقيت في بوردو. إن ما يصنع الحضارة، في الواقع، هي الطريقة التي تتحمل بها مسؤولية ما تنتجه كنفائات! إنها قضية الساعة، إذا ما كان هنالك من واحدة أصلاً.

إن مواردنا لمعالجة هذه القضايا غير شحيحة: فلدينا النصوص الفرويدية الرائعة: الكف والعرض والحصر، وقلق في الحضارة. بالإضافة إلى سمينار لاكان العاشر Anxiety (الحصر)، وشرح ج.-أ. ميلير لذلك السمينار، الذي تم جمعه في العدد 58 و 59 من La Cause freudienne. والعديد من أعمال زملائنا حول موضوعات اللاسكينة والضيق.

تعد إحدى منشوراتنا باللغة الإنجليزية ذات قيمة كبيرة أيضاً، حيث تجمع بزوغ جوانب مختلفة من اللاسكينة المعاصرة في مقتطفات مُرسلة من قبل كُتاب من جميع بلدان الـ NLS أنا أتحدث عن Lacanian Review Online، الذي يحرره زملاؤنا جيف إيرب وجورجي أسيف.

سأختم مع فرويد والجمل الافتتاحية لكتابه: قلق في الحضارة. في بداية نصه، وخلال معرض ردّه على موقف الرجل الفاضل الذي يدعي بأن البشر لا يقدرّون القيم الحقيقية للحياة، يطرح فرويد الملاحظة البسيطة التالية: "لكن ما أن نصدر حكماً يمثل هذا القدر من العمومية، حتى نجد أنفسنا وقد بتنا عرضة لخطر تناسي التنوع العظيم الذي تمثله الكائنات والنفوس"²⁰.

¹⁶ Miller J.-A., "A Fantasy", Lecture given at the 4th Congress of the WAP, August 2004. https://www.londonsociety-nls.org.uk/The-Laboratory-for-Lacanian-Politics/Some-Research-Resources/Miiller_A-Fantasy.pdf

¹⁷ Lacan J., *Autres écrits*, Paris, Seuil, 2001, p. 414.

¹⁸ Miller J.-A., « Le salut par les déchets », *Mental* n°24, April 2010, p. 9-15.

¹⁹ Lacan J., "Lituraterre", translated by Beatrice Khiara-Foxton & Adrian Price: *Hurly-Burly* 9 (2013), p. 29; cf. Lacan J., "My Teaching, Its Nature and Its Ends", *My Teaching*, trans. David Macey, (London and New York, Verso, 2008), p. 65.

²⁰ Freud S., "Civilisation and its Discontents", SE XXI, p. 64.

هنالك اذن التنوعُ في ألوان التلذذ، وفي الرغبات، والمواضيع، والمثل العليا، وفوق كل ذلك في الأعراض، التي تُعتبر، بالنسبة لنا نحن المحلّلون النفسيون، أكثر الطرق أماناً للردّ على الشرخ الذي يؤدي الى عدم السكينة في حضارتنا، وعلى الموضوع الذي منه يترك الضيق أثراً في ذاتيتنا.

ترجمة للعربية: وردة حاج – نصرالله وفداء عليان.

مراجعة الترجمة: خلود ثابت صغير.

تقويم واعداد: خليل سبيت.